

روح المعاني

القطب ذلك من باب الإستعارة التمثيلية حيث شبه حال الندم في النفس بحال الشيء في اليد في التحقيق والظهور ثم عبر عنه بالسقوط في اليد ولا لطف للإستعارة التصريحية فيه وقال الواحدي : إنه يقال لما يحصل وإن لم يكن في اليد وقع في يده وحصل في يده مكروه فيشبه ما يحصل في النفس وفي القلب بما يرى بالعين وخصت اليد لأن مباشرة الأمور بها كقوله تعالى : ذلك بما قدمت يداك أو لأن الندم يظهر أثره بعد حصوله في القلب في اليد لعضها والضرب بها على أختها ونحو ذلك فقد قال سبحانه في النادم : فأصبح يقلب كفيه ويوم بعض الظالم وقيل : من عادة النادم أن يطأطئ رأسه ويضع ذقنه على يده بحيث لو أزالها سقط على وجهه فكأن اليد مسقوت فيها و في بمعنى على وقيل : هو من السقاط وهو كثرة الخطأ وقيل : من السقيط وهو ما يغشى الأرض بالغدوات شبه الثلج لا ثبات له فهو مثل لمن خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وعد بعضهم سقط من الأفعال التي لا تتصرف كنعم وبئس .

وقرأ ابن أبي عبله اسقط على أنه رباعي مجهول وهي لغة نقلها الفراء والزجاج وذكر بعضهم أن هذا التركيب لم يسمع قبل نزول القرآن ولم تعرفه العرب ولم يوجد في أشعارهم وكلامهم فلذا خفي على الكثير وأخطأوا في إستعماله كأبي حاتم وأبي نواس وهو العالم النحرير ولم يعلموا ذلك ولو علموه لسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا أي تبينوا ضلالهم بإتخاذ العجل وعبادته تبينا كأنهم قد أبصروه بعيونهم قيل : وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية .

وقال القطب في بيان تأخر تبين الضلال عن الندم مع كونه سابقا عليه : إن الانتقال من الجزم بالشيء إلى تبين الجزم بالنقيض لا يكون دفعا في الأغلب بل إلى الشك ثم الظن بالنقيض ثم الجزم به ثم تبينه والقوم كانوا جازمين بأن ما هم عليه صواب والندم عليه ربما وقع لهم في حال الشك فيه فقد تأخر تبين الضلال عنه انتهى فافهم ولا تغفل قالوا لأن لم يرحمنا ربنا بإنزال التوبة المكفرة ويغفر لنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع أن التولية حقها أن تقدم على التحلية قيل : إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي وإما لأن المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم أي وإلّا لئن الخ وفي قوله سبحانه : لنكونن من الخاسرين .

وقرأ حمزة والكسائي ترحمنا وتغفر لنا بالتاء الفوقية و ربنا بالنصب على النداء وما
حكى عنهم من الندامة والرؤية والقول كان بعد رجوع موسى عليه السلام من الميقات كما ينطق
به ما سيأتي إن شاء الله تعالى في طه وقدم ليتصل ما قالوه بما فعلوه ولما رجع موسى إلى
قومه غضبان مما حدث منهم أسفاً أي شديد الغضب كما قال أبو الدرداء و محمد القرطبي وعطاء
والزجاج أو حزينا على ما روي عن ابن عباس والحسن وقتادة رضي الله تعالى عنهم وقال أبو
مسلم : الغضب والأسف بمعنى والتكرير